

السؤال

أريد أن أعرف ما المقصود بحجارة الزيت ؟ ومن هم أهل حجارة الزيت الذين جاء ذكرهم في الحديث رقم : (3958) من سنن ابن ماجه؟

ملخص الإجابة

حجارة الزيت أو أحجار الزيت: موضع بالمدينة بالقرب منها، سمي بذلك لسواد الحجارة التي به كأنها طليت بالزيت.

الإجابة المفصلة

روى ابن ماجه (3958)، وأحمد (21325)، وابن حبان (6685)، عن أبي ذرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى يُقَوِّمَ الْبَيْتَ بِالْوَصِيفِ؟) - يَعْنِي الْقَبْرَ - قُلْتُ: مَا حَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - أَوْ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - قَالَ: (تَصَبَّرْ) قَالَ: (كَيْفَ أَنْتَ، وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ، حَتَّى تَأْتِي مَسْجِدَكَ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ؟) قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - أَوْ مَا حَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - قَالَ: (عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ) ثُمَّ قَالَ: (كَيْفَ أَنْتَ، وَقَتْلًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تُغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ بِالِدَمِّ؟) قُلْتُ: مَا حَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: (الْحَقُّ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ)، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَخْذُ بِسَيْفِي، فَأُضْرِبُ بِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، قَالَ: (شَارَكَتِ الْقَوْمَ إِذَا، وَلَكِنْ ادْخُلْ بَيْتَكَ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ دَخَلَ بَيْتِي؟ قَالَ: (إِنْ حَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شِعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمَكَ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)

وصحه الألباني في "صحيح ابن ماجه"، وصحه محققو المسند على شرط مسلم.

قال السندي رحمه الله:

"(وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ) أَي: بِالْمَدِينَةِ .

(حَتَّى يُقَوِّمَ الْبَيْتَ بِالْوَصِيفِ) أَي: بِالْعَبْدِ، قِيلَ: الْمُرَادُ بِالْبَيْتِ الْقَبْرُ، أَي: يُبَاعُ مَوْضِعُ الْقَبْرِ بَعْدَ وَصِيفِ، أَوْ لِيُبْلَغَ أَجْرَةَ الْحَقَّارِ قِيمَةَ الْعَبْدِ لِكَثْرَةِ الْمَوْتَى وَقِلَّةِ الْحَقَّارِينَ وَاشْتِعَالِهِمْ بِالْمَعِيشَةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْبَيْتِ الْمُتَعَارَفُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْبُيُوتَ تَصِيرُ رَحِيصَةً لِكَثْرَةِ الْمَوْتِ، وَقِلَّةِ مَنْ يَسْكُنُهَا فَيُبَاعُ الْبَيْتُ بَعْدَ، مَعَ أَنَّ الْبَيْتَ عَادَةً يَكُونُ أَكْثَرَ قِيمَةً .

(عَلَيْكَ بِالْعَمَّةِ) أَي: لِكَفِّ النَّاسِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ.

(حَتَّى تُغْرَقَ حِجَارَةُ الرِّبِّتِ بِالِدَّمِ) حِجَارَةُ الرِّبِّتِ : مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ فِي الْحَرَّةِ، سُمِّيَ بِهَا لِسَوَادِ الْحِجَارَةِ كَأَنَّهَا طَلِيَتْ بِالرِّبِّتِ، أَي: الدَّمُ يَغْلُو حِجَارَةَ الرِّبِّتِ وَيَسْتُرُّهَا، لِكَثْرَةِ الْقَتْلِ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى وَقْعَةِ الْحَرَّةِ الَّتِي كَانَتْ زَمَنَ يَزِيدَ .

(الْحَقُّ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ) أَي: بِأَهْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ الَّتِي حَرَجْتَ مِنْ عِنْدِهِمْ، أَي: ازْجِعْ إِلَيْهِمْ .

(إِنْ حَشِيَتْ أَنْ يَبْهَرَكَ شِعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرْفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) .

(إِنْ حَشِيَتْ) فَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِلَّا بِأَنْ غَلَبَكَ صَوْءُ السَّيْفِ وَبَرِيقُهُ فَعَطَّ وَجْهَكَ حَتَّى يَفْثُلَكَ.

قِيلَ: الْمُرَادُ الْإِحْبَارُ بِهَذِهِ الْوَقَائِعِ ، عَلَى احْتِمَالٍ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ لَعَلَّهُ يُدْرِكُهَا، وَإِلَّا فَأَبُو ذَرٍّ مَاتَ قَبْلَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ، فَإِنَّهُ مَاتَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ، وَأَمَّا وَقُوعُ الْجُوعِ وَالْمَوْتِ بِالْمَدِينَةِ، فَيَحْتَمَلُ أَنَّهُ أَدْرَكَهَا أَبُو ذَرٍّ، لِأَنَّهُ وَقَعَ قَحْطٌ وَمَوْتُ بِهَا فِي عَامِ الرَّمَادَةِ وَعَیْرِهِ " انتهى باختصار.

“حاشية السني على سنن ابن ماجه” (2/ 468)

وفي الحديث : الحث على البعد عن الفتن وأهلها، وصيانة النفس عن دماء المسلمين ، والإمساك عن الخوض فيها .

وروى أبو داود (1168) عَنْ عُمَيْرٍ، مَوْلَى بَنِي أَبِي اللَّحْمِ : " أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَسْقِي عِنْدَ أَحْجَارِ الرِّبِّتِ، قَرِيبًا مِنَ الرُّوزَاءِ قَائِمًا، يَدْعُو يَسْتَسْقِي رَافِعًا يَدَيْهِ قَبْلَ وَجْهِهِ، لَا يُجَاوِزُ بِهِمَا رَأْسَهُ " .

وصححه الألباني.

قال القاضي عياض في "المشارك" (1/ 220)

" أَحْجَارِ الرِّبِّتِ: مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ قَرِيبٌ مِنَ الرُّوزَاءِ، مَوْضِعٌ صَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْاسْتِسْقَاءِ " انتهى .

وقال القاري في "المرقاة" (3/ 1109):

" أَحْجَارِ الرِّبِّتِ : مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْحَرَّةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِسَوَادِ أَحْجَارِهَا بِهَا كَأَنَّهَا طَلِيَتْ بِالرِّبِّتِ "

وقال الزبيدي في "تاج العروس" (4/ 532):

" مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ الْمَشْرِفَةِ، عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ، وَهُوَ خَارِجُهَا " .

ثانيا :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

” كَانَ سَبَبُ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ : أَنْ وَفَدًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَدِمُوا عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بِدِمَشْقَ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُمْ، وَأَطْلَقَ لِأَمِيرِهِمْ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا لِأَهْلِيهِمْ عَنْ يَزِيدَ مَا كَانَ يَقَعُ مِنْهُ مِنَ الْقَبَائِحِ فِي شُرْبِهِ الْحَمَرِ، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَاحِشِ الَّتِي مِنْ أَكْبَرِهَا تَرْكُ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا بِسَبَبِ الشُّكْرِ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى خَلْعِهِ، فَخَلَعُوهُ عِنْدَ الْمُنْبَرِ النَّبَوِيِّ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ سَرِيَّةً يَفْدُمُهَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ، وَإِنَّمَا يُسَمِّيهِ السَّلْفُ مُسْرِفَ بْنَ عُقْبَةَ، فَلَمَّا وَرَدَ الْمَدِينَةَ اسْتَبَاحَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَقَتَلَ فِي عُيُونِ هَذِهِ الْأَيَّامِ بَشَرًا كَثِيرًا حَتَّى كَادَ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا، وَرَعِمَ بَعْضُ عُلَمَاءِ السَّلْفِ أَنَّهُ افْتَضَّ فِي عُيُونِ ذَلِكَ أَلْفٍ بِكَرٍّ. قَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ: ” قُتِلَ يَوْمَ الْحَرَّةِ سَبْعُمِائَةَ رَجُلٍ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ “.

حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: ” وَكَانَ فِيهِمْ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ يَزِيدَ “.

وقال ابن الأثير رحمه الله:

” كان سبب وقعة الحرة أنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ وَفدوه وغيره من أهل المدينة إلى يزيد بن معاوية، فأرأوا منه ما لا يصلح، فلم ينتفعوا بما أخذوا منه، فرجعوا إلى المدينة وخلعوا يزيد، وبايعوا لعبد الله بن الزبير، ووافقهم أهل المدينة، فأرسل إليهم يزيد مسلم بن عقبة المري، وهو الذي سماه الناس بعد وقعة الحرة مجرمًا، فأوقع أهل المدينة وقعة عظيمة، قتل كثيرًا منهم في المعركة، وقتل كثيرًا صبرًا، وكان عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ ممن قتل في المعركة، ولما اشتد القتال قدم بنوه واحدًا واحدًا، حتى قُتِلُوا كلهم، وهم ثمانية بنين، ثم كسر جفن سيفه فقاتل حتى قتل ” انتهى من “أسد الغابة” (219 /3)

وينظر: “تاريخ الإسلام” (23 /5)

والله تعالى أعلم .